

سلسلة: إتحاف الحاضر والبادي بتفريغ أشرطة العلامة الشيخ محمد بن هادي (٥٠)

تفريغ محاضرة بعنوان:

«فضل يوم عرفة وأيام التشريق»

لفضيلة الشيخ العلامة

محمد بن هادي المدخلي - حفظه الله -

اعتناء

أبي قصي المدني

- عفا الله عنه وعن والديه ومشايخه والمسلمين أجمعين -

بسم الله الرحمن الرحيم

«فضل يوم عرفة وأيام التشريق»

لفضيلة الشيخ محمد بن هادي المدخلي - حفظه الله -^(١)

قال مُقدِّم المحاضرة - حفظه الله -: «بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلّم وبارك على المبعوث رحمة للعالمين؛ نبينا محمدٍ وعلى آله وصحبه وسلّم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

حيّا الله هذه الوجوه النيرة، وكتب الله - جلّ وعلا - لكم الأجر، وحيّا الله فضيلة شيخنا فضيلة الشيخ العلامة الشيخ محمد بن هادي المدخلي في هذه الليلة المباركة في هذا المسجد المبارك، أسأل الله - جلّ وعلا - أن يكتب له الأجر، وأسأل الله أن يجزيه عنا خير الجزاء، وأهلاً وسهلاً به في قرية «جريبة» وفي «ساحل الجعافرة» وفي «محافظة صبيا»، حللت أهلاً، ونزلت سهلاً، أهلاً وسهلاً بك وبالإخوة طلاب العلم الذين نراهم من كل مكان، حيّاهم الله جميعاً، وجعل الجنة مثوانا ومثواهم، ولعلكم تشاققون إلى حديث شيخنا، نسأل الله أن يفتح عليه، وأن يبارك له، وأن يوفّقنا وإياه لصالح الأقوال والأفعال، إنه سميع قريب مجيب الدعوات».

قال الشيخ محمد بن هادي المدخلي - حفظه الله -: «السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

إنّ الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين.

(١) ألقاها فضيلته في مسجد الكعاشيم بقرية جريبة بمحافظة صبيا بتاريخ ٨-١٢-١٤٣٩.

أما بعد:

فإنه لمن دواعي الغبطة والسروور أن ألتقي بإخوة أحبة، وأبناء كرام في هذه المحافظة -محافظة صبيا- وفي قرية «جريبة» من ساحل «الجعافرة»، جعافرة السُّنَّة -ولله الحمد- لا جعافرة البدع والمبتدعة، جعافرة أهل السنة، نسل جعفر بن أبي طالب -رضي الله تبارك وتعالى عنه-، نسبٌ واضح كالشمس معروف -ولله الحمد-، وأهله أهل سُنَّةٍ، وكرمٍ، وفخرٍ، وعلا، نسأل الله -جلَّ وعلا- أن يُوفِّقنا وإياهم لما يحبه ويرضاه، وأن يُحسن منقلبنا ومنقلبهم بين يديه -جلَّ وعلا-.

يسرنا جميعاً أن نلتقي في هذه الليلة -ليلة عرفة- إذ يُصبح غدًا يوم عرفة من هذا العام عام تسعة وثلاثين وأربع مئة وألف في هذا المسجد نتذاكر فيما بيننا، ولستُ أزعـم أني آتي بجديد، وهذا هو العلم؛ فإنَّ شرَّ العلم الغريب^(١)، وأما العلم هو المعروف من ها هنا وها هنا وها هنا الذي يعرفه الناس، نتذاكر -معشر الأحبة- ولا نطيل إن شاء الله -تبارك وتعالى- عليكم.

أيها الإخوة الكرام:

إننا في هذه الليلة سنستقبل بعدها يومًا مباركًا عظيمًا هو خير يوم طلعت عليه الشمس؛ إنه يوم عرفة، يوم الحج الذي هو الركن الأعظم، مَنْ فاتته الوقوف فيه أو في ليله الليلة القادمة حتى يطلع الفجر؛ فقد فاتته الحج، فهو الركن الأعظم من أركان الحج، حيث قال فيه رسول الله ﷺ: «الحُجُّ عَرَفَةٌ»^(٢)، مبتدأ وخبر «الحُجُّ عَرَفَةٌ».

(١) جاءت هذه العبارة عن الإمام مالك رحمه الله كما نقلها عنه القاضي عياض رحمه الله في «ترتيب المدارك» (٢/ ٦٠)، حيث قال: (وقال مالك: شر العلم الغريب وخير العلم الظاهر الذي قد رواه الناس).

(٢) أخرجه أبو داود في «سننه» برقم (١٩٤٩)، والترمذي في «جامعه» برقم (٨٨٩)، والنسائي في «سننه» (٣٠٤٤)، وابن ماجه في «سننه» برقم (٣٠١٥)، وصححه الألباني في «الإرواء» برقم (١٠٦٤).

وقال فيه عليه الصلاة والسلام: «مَنْ صَلَّى صَلَاتَنَا هَذِهِ» يعني في جَمْعِ صلاة الفجر، «وَكَانَ قَدْ وَقَفَ قَبْلَهَا سَاعَةً مِنْ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ بِعَرَفَةَ؛ فَقَدْ قَضَى تَفَثَهُ، وَتَمَّ حُجَّهُ» (١) صلوات الله وسلامه عليه.

هذا اليوم العظيم سنستقبله -معشر الأحبة-، وله منزلة عندنا -معاشر المسلمين-، وله منزلة عند الله -تبارك وتعالى-، وقد جاءت بذلك النصوص عن رسول الله ﷺ الصحاح الصريحات في فضل هذا اليوم العظيم، ومن فاته الحج فإنه -ولله الحمد- قد عوّضه الله -جلّ وعلا- بالخير؛ إذ شرع له في هذا اليوم عددًا من الطاعات، وعددًا من الوظائف من وظائف الأعمال الصالحات يتقرب بها إلى الله -جلّ وعلا-.

وهذا اليوم قد سمعنا ما قرأنا قبل قليل في سورة البروج: ﴿وَالْيَوْمَ الْمَوْعُودِ ۖ وَشَهِدِ وَمَشْهُودِ﴾ [البروج: ١-٣].

جاء عن ابن عباس -رضي الله عنهما-: (أَنَّ الْيَوْمَ الْمَوْعُودَ هُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، وَالشَّاهِدُ هُوَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، وَالْمَشْهُودُ هُوَ يَوْمُ عَرَفَةَ) (٢) إذ يشهده الجموع الغفيرة من أهل الإيمان يفيدون عليه، يفيدون إليه من كل فج عميق، يأتون إليه على كل ضامر، ويأتون إليه رجالاً؛ أي ماشين، يرجون رحمة الله -تبارك وتعالى-، ويرجون عفوه، ويَطْرَحُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ عَسَى أَنْ يَرْجِعُوا بِذُنُوبٍ قَدْ عُفِّرَتْ، وَسَيِّئَاتٍ قَدْ كُفِّرَتْ، وَأَعْمَالٍ صَالِحَةٍ كُتِبَتْ، وَحَسَنَاتٍ قَدْ ضُوعِفَتْ، وَدَرَجَاتٍ قَدْ رُفِعَتْ، وَسَيِّئَاتٍ تُحِيتُ، نَسْأَلُ اللَّهَ لَنَا وَلَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ الْعَظِيمِ.

(١) أخرجه أبو داود في «سننه» برقم (١٩٥٠)، والترمذي في «جامعه» برقم (٨٩١)، والنسائي في «سننه» (٣٠٤١)، وابن ماجه في «سننه» برقم (٣٠١٦)،

وصححه الألباني في «الإرواء» برقم (١٠٦٦).

(٢) انظر: «تفسير ابن كثير» (٣٦٥ / ٨) تفسير سورة البروج.

أيها الإخوة في الله:

يقول عليه الصلاة والسلام مُبَيَّنًا فضل هذا اليوم، ومُبيَّنًا منزلته - صلوات الله وسلامه عليه -، ومُنَوِّهاً بذكره: «خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ يَوْمَ عَرَفَةَ»^(١).

وما ذلك - معشر الأحبة - إلا لما فيه من الفضائل، وما فيه من الخيرات العظيمة:

- فمن ذلكم: ما صحَّ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أَفْضَلُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَخَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»^(٢)، فهذا أفضل الذكر وأفضل الدعاء لما تضمنه من الإقرار بوحداية الله - جلَّ وعلا -، وإفراده ﷻ بالعبادة، ونفي الشريك عنه ﷻ، فهذا أفضل ما قاله النبي ﷺ وقاله الأنبياء من قبله، و«خَيْرُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ» هذا دليل على فضل هذا اليوم؛ إذ كما قال أهل العلم بين النبي ﷺ فضل الدعاء ببيان فضل الظرف الذي هو فيه ظرف الزمان، والزمان هنا هو يوم عرفة، فأفضل الدعاء دعاء يوم عرفة، هذا دال على فضل هذا الزمان من طلوع الشمس إلى غروب اليوم، ثم يتبعه ليلة جمع، من فاته الوقوف بعرفة نهارًا فوقف بعد ذلك ساعة من النهار فقد قضى تفثه، وتم حجه.

فهذا اليوم يوم عظيم، ينبغي أن يُحتفل به، ويُحتفى به، ويهتم به، فإذا كان أفضل الدعاء دعاء يوم عرفة؛ فينبغي للمسلم أن يجتهد في الإكثار من الدعاء في هذا اليوم، ولا يُفوّت ساعاته، فإنَّ الأوقات تُغتَنَم، ولا سيما الأوقات الصالحات التي تُضاعف فيها الحسنات، وتُحطُّ فيها السيئات، وتُقال فيها العثرات، وتُرفع فيها الدرجات، ينبغي للعاقل أن يحرص عليها، وألا يُضيّعها، فيوم غدٍ - معشر الأحبة - يوم عظيم.

(١) انظر: «الضعيفة» (٣/ ٣٤١) للألباني.

(٢) أخرجه الترمذي في «جامعه» برقم (٣٥٨٥)، وحسنه الألباني في «الصحيحة» برقم (١٥٠٣).

- ومن فضل هذا اليوم النبي ﷺ أخبر كما جاء ذلك في «صحيح مسلم»^(١) من حديث أبي قتادة ؓ أَنَّ صَوْمَهُ يُكَفِّرُ سِتِينَ سَنَةً قَبْلَهُ، وَسَنَةً بَعْدَهُ، هَذَا الْيَوْمَ صِيَامُهُ يُكَفِّرُ سِتِينَ سَنَةً قَبْلَهُ وَسَنَةً بَعْدَهُ، وَهَذَا إِنْ اجْتَنِبْتَ الْكِبَائِرَ، فَهُوَ مُكَفِّرٌ لِلصَّغَائِرِ - لَصَغَائِرِ الذُّنُوبِ -، أَمَّا الْكِبَائِرُ فَلَا بُدَّ فِيهَا مِنَ التَّوْبَةِ الصَّادِقَةِ لِقَوْلِ اللَّهِ - جَلَّ وَعَلَا -: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء: ٣١].

ويقول عليه الصلاة والسلام: «الصَّلَوَاتُ الْخُمْسُ، وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ، مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ مَا اجْتَنِبْتَ الْكِبَائِرُ»^(٢)، ويقول عليه الصلاة والسلام: «الْعُمْرَةُ إِلَى الْعُمْرَةِ»^(٣)، فدلَّ ذلك على أَنَّ الْكِبَائِرَ مُسْتَثْنَاةٌ، لَا بُدَّ لَهَا مِنْ تَوْبَةٍ مُسْتَقْلَةٍ، أَمَّا الصَّغَائِرُ فَإِنَّهَا تَدْخُلُ فِي هَذَا الْحَدِيثِ، فَانْظُرْ إِلَى هَذَا الْفَضْلِ الْعَظِيمِ أَيُّهَا الْمُسْلِمُ! كَيْفَ يُكَفِّرُ اللَّهُ - جَلَّ وَعَلَا - عَنْكَ بِصِيَامِ هَذَا الْيَوْمِ سَيِّئَاتٍ وَخَطَايَا سِتِينَ سَنَةً سَابِقَةً وَسَنَةً لَاحِقَةً، هَذَا هُوَ الْفَضْلُ ﴿ذَلِكَ أَلْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا﴾ [النساء: ٧٠].

وَالْوَاجِبُ عَلَيْنَا جَمِيعًا: أَنْ نَفْرَحَ بِهَذَا، وَأَنْ نَغْتَبِطَ بِهِ، قَالَ - جَلَّ وَعَلَا -: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨].

هَذَا هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ، مَا أَكْثَرَ الذُّنُوبَ عِنْدَنَا، وَمَا أَكْثَرَ التَّقْصِيرَ عِنْدَنَا، وَالْمَوْفَّقُ مِنَ وَفْقِهِ اللَّهُ وَأَمَدٌ فِي عَمْرِهِ حَتَّى يُدْرِكَ هَذِهِ الْمَوَاسِمَ، فَإِذَا كَانَ حَازِمًا عَاقِلًا حَرِيصًا عَلَى خَيْرِ نَفْسِهِ يَرِيدُ لَهَا نَجَاتَهَا؛ فَلَا يُفَوِّتُ سَاعَاتِ الْفَوْزِ، فَإِنَّمَا هِيَ سَاعَاتٌ قَلِيلَاتٌ، تَنْقَلِبُ فِيهَا بِحَسَنَاتٍ كَثِيرَاتٍ.

(١) برقم (١١٦٢).

(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه» برقم (٢٣٣).

(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم (١٧٧٣)، ومسلم في «صحيحه» برقم (١٣٤٩).

فالله الله - معشر الإخوة - في صيام هذا اليوم، فإنه يُشرع لمن لم يحج أن يصوم هذا اليوم، أما من حج - ولعله يبلغ كلامنا إليهم - فإنه لا يُشرع لهم أن يصوموا هذا اليوم، بل يُشرع لهم فطره؛ لأنَّ النبي - صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم - وقف مُفطراً، وقد تمارى بعض أصحابه: هل كان صائماً، أم كان مفطراً؟ وتमारوا عند أم الفضل بنت الحارث - أم عبد الله بن عباس والفضل ابن عباس - تماروا عندها، يعني تجادلوا، بعض الصحابة يقول هو صائم، وبعضهم يقول مفطر، فما كان من لبابة بنت الحارث التي هي أم الفضل - رضي الله عنها - إلا أن أرسلت إلى النبي ﷺ بقَدَحٍ فيه لبن يعني حليب، لعلمها بأنَّ النبي ﷺ يُحب اللبن.

واليوم اللبن في اصطلاح الناس وشباب اليوم وجيل اليوم هو الحامض! لا، اللبن هو الحلو، يخرج ﴿مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ﴾ [النحل: ٦٦]، فهذا الرائب لا يقال له حليب، يقال له ريب، أو رائب، أو روب، قل ما شئت، أما اللبن فالمراد به الحليب الذي يخرج حلوًا، فهذا اسمه في الوضع، وأما لفظة الحليب فهذه اشتقت من الفعل، وهو الحلب، فسُمِّيَ حليباً، أي مخلوباً، ففعل بمعنى مفعول، وإلا اسمه الوضعي الأصل في اللغة على اللسان العربي: لبن.

فالشاهد: أرسلت - رضي الله تبارك وتعالى عنها - إليه بقَدَحٍ يعني القعب فيه اللبن، وهكذا كانت العرب آتيتها في ذلك الحين، فأخذ القَدَحَ ﷺ وشربه والناس ينظرون^(١)، فكان الجوابُ ما تراه لا ما تسمعه، كما قال الشاعر:

خُذْ مَا رَأَيْتَ وَدَعْ شَيْئاً سَمِعْتَ بِهِ فِي طَلْعَةِ الشَّمْسِ مَا يُغْنِيكَ عَنْ رُحْلِ

الشمس كل واحد يراها وزُحْل يسمع الناس به وهو مرتفع، لكن النفع كله في الشمس التي نراها ويراهها كل أحد.

(١) رواه أحمد في «مسنده» برقم (٣٢١٠)، وصححه الألباني في «التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان» برقم (٣٥٩٦).

فكان الجواب ما رأوه من النبي ﷺ أن شرب من القدح، فيُشرع لمن كان بعرفة عدم الصوم؛ لأنَّ النبي ﷺ لم يصمه.

وقد جاء في حديث عبد الله بن عمر في السنن وغيرها قال: (حَجَّجْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَلَمْ يَصُمْهُ، وَمَعَ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَلَمْ يَصُمْهُ، وَمَعَ عُمرَ فَلَمْ يَصُمْهُ، وَأَنَا لَا أَصُومُهُ، وَلَا أَمُرُّ بِهِ، وَلَا أَنْهَى عَنْهُ) (١).

فالشاهد: يُشرع لمن كان حاجًّا ألا يصوم هذا اليوم، لماذا؟ ليتقوى على الدعاء، فإنَّ الصوم يُضعف الإنسان، ويُضعفه عن القيام بالوظيفة العظيمة؛ وهي وظيفة الابتهاال، والوقوف في الشمس في هذا اليوم الحار، خصوصًا إذا صادف أيام الصيف مثل أيامنا هذه.

ورسول الله ﷺ قد بقي بمنى يوم الثامن بات بها ليلة التاسع حتى طلعت الشمس، ثم سار إلى (عُرْنَة) فلما وصل إلى (عُرْنَة) وجد قُبَّتَهُ قد ضُرِبَتْ له من أَدَمَ بَنِمْرَة، فنزل بها ﷺ تحت هذه القبة التي وُضِعَتْ له وصُنِعَتْ له من الأَدَمَ -يعني من الجلد-، قَالَ فيها حتى زالت الشمس، ثم جاء -عليه الصلاة والسلام- إلى موضع المسجد اليوم، فوقف في أصحابه على ناقته القصواء، وخطب بهم ﷺ، وصلى بهم الظهر والعصر جمعًا وقصرًا، ومعه أهل مكة، فلم يأمرهم بالإتمام، ولم ينكر عليهم الجمع، المكيون أهل مكة لم يأمرهم بأن يُتِمُوا الصلاة مع أنهم كانوا من أهل مكة، ولم ينكر عليهم الجمع بين الصلاتين، فقد جمعوا معه بين الظهر والعصر وقصر وهما، فدلَّ ذلك على أَنَّ الحُجَّاجَ سواء، سواء كانوا من مكة أو من خارج مكة -آفَاقِيَّينَ- حكمهم واحد في الجمع والقصر في هذا اليوم.

المهم: أنَّ النبي ﷺ خطب في هذا اليوم خطبته العظيمة، ولسنا نذهب إلى الكلام عنها؛ لأنَّ الوقت لا يتسع لذلك.

(١) أخرجه الترمذي في «جامعه» برقم (٧٥٠)، وصححه لغيره الألباني في «التعليقات الحسان» برقم (٣٥٩٥).

الشاهد: أَنَّ النبي ﷺ وقف في هذا اليوم مُفطراً، وبعد أن خطب اتَّجَه -عليه الصلاة والسلام- بعد صلاته الى الجبل فوقف في ذنب الجبل، وجعل حبل المشاة بينه وبين القبلة، وقام عليه الصلاة والسلام يتضرع، ويدعو الله -جَلَّ وعلا- في هذا اليوم حتى غابت الشمس وهو على ناقته القصواء -صلوات الله وسلامه عليه-، في هذا الوقت أرسلت إليه أم الفضل بنت الحارث حينما تماروا فيه: أصائم هو أو مفطر! أرسلت إليه باللبن، فشربه.

فيُشرع للحاج ألا يصوم هذا اليوم ليتقوى على الدعاء، ويقوم بالابتهاال إلى الله -تبارك وتعالى-، ويكثر من مناجاة ربه -تبارك وتعالى-.

ثم ليعلم الناس: أَنَّ هذا اليوم يوم فاضل، أغاظ الله ﷻ فيه عدونا، وشرح صدورنا، وأسعدنا بإهانتته، فإنه ما رؤي الشيطان أغيظ ولا أحقر ولا أذحر في يوم هو فيه منه في يوم عرفة إلا ما كان في يوم بدر، فالله ﷻ يدحره في هذا اليوم، ويقهره، ويخزيه، ويذلُّه، لماذا؟ لما يرى من الخير في أمة محمد ﷺ، فالحجَّاج قد أقبلوا على ربهم بقلوبهم، والمسلمون في أنحاء المعمورة أيضاً قد أقبلوا على الله -جَلَّ وعلا- بقلوب عامرة بالطاعة، عمروها بالصوم، والصوم هذا لله -جَلَّ وعلا كما قال ربنا سبحانه: «كُلُّ عَمَلٍ ابْنِ آدَمَ لَهُ، إِلَّا الصَّوْمَ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ»^(١)، في هذا الصوم إغَاظَة لِإِبْلِيسَ؛ لأنَّ الله -جَلَّ وعلا- يضيق عليه المجاري التي يجري فيها مجاري الدم، فإنَّ الشيطان يجري من ابن آدم -كما قال عليه الصلاة والسلام- مجرى الدم^(٢)، والشيطان إذا تسلَّل إلى ابن آدم أفسد عليه، نسأل الله العافية والسلامة.

فيغيظ الشيطان ما يراه من إقبال الناس على الخير في يوم عرفة، سواء كان المسلمون في عرفة، أو كانوا في بلدانهم، يرى إقبالهم على الخير، وعلى الذكر، والطاعة، والتضرع، والدعاء،

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم (١٩٠٤)، ومسلم في «صحيحه» برقم (١١٥١).

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم (٢٠٣٨)، ومسلم في «صحيحه» برقم (٢١٧٤).

وقراءة القرآن، والاحبات لله -تبارك وتعالى- والتوبة، والرجوع إليه، والإنابة إليه، فهذا يغيظه.

- ومن فضائل هذا اليوم -معشر الأحبة-: أن الله -تبارك وتعالى- يباهي بنا ويباهي بأهل الموقف، يباهي بأهل الموقف ملائكة السماء، كما صحَّ ذلك عن النبي ﷺ في «صحيح مسلم»^(١) إذ يقول: «انظروا إلى عبادي أتوني شعثاً غبراً»^(٢) لماذا؟ جاؤوا يرجون رحمته، ويخشون عذابه ﷺ، ويقول -جلّ وعلا- في الحديث الآخر: «انظروا إلى هؤلاء ما يريد هؤلاء؟»^(٣) يحبيه الملائكة بأنهم يرجون رحمته، ويخشون عذابه، فيقول -جلّ وعلا-: «أشهدكم أنني قد عَفَرْتُ هُمْ»^(٤).

فهذا اليوم يتفَضَّل الله ﷻ فيه على عباده بالمغفرة، ويتفَضَّل فيه على عباده بمباهاته أهل السماء بهم، وهذه من فضائل هذا اليوم، فينبغي لنا أن نعلم مكانته ومنزلته، وألا نُضَيِّعَهَا في النوم، فضلاً عن أن نُضَيِّعَهَا في الذهاب والمجيئ، والخروج والولوج، وفيما لا فائدة فيه، فائدته آنيّة ساعة أو ساعتين في أغراض العيد، ثم تذهب، لكن هذه هي الفائدة الحقيقية التي تبقى لنا عند الله -جلّ وعلا-، والأيام معك والله الحمد، عيد الأضحى أيام الحج الأمر فيها واسع، الضحية تأخذها يوم العيد، والضحية تأخذها أول أيام التشريق الذي هو ثاني العيد، والضحية تأخذها ثاني أيام التشريق الذي هو ثالث العيد، والأضحية تأخذها ثالث أيام التشريق الذي هو رابع العيد، فعندك سعة والله الحمد، فلا يذهب عليك الوقت، فلا يستخفك الذين لا يوقنون، لا يستهوينك من قلّ علمهم، وضعف عقلهم، فلا يستهوينك هؤلاء فيذهب عليك

(١) برقم (١٣٤٨).

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» برقم (٧٠٨٩)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» برقم (١٨٦٨).

(٣) أخرجه مسلم في «صحيحه» برقم (١٣٤٨).

(٤) انظر: «الصحيحة» للألباني حديث رقم (٢٥٥١).

هذا اليوم، وتذهب عليك ساعاته، فاحرص عليه من بزوغ فجره إلى غروب شمسهِ، احرص على ذلك لا يفوتك، تمسك لنفسك بما ينجيها، والتمسك في هذا إنما يكون بالأعمال الصالحات. - ومن فضائل هذا اليوم - معشر الأحبة - : أنه أكثر يوم يعتق الله - جلّ وعلا - فيه عبده من النار، فإنه ما من يوم أكثر أن يعتق الله فيه من النار من يوم عرفة، فكثرة العتق في هذا اليوم مما يغيب الشيطان الذي قد أهلك بني آدم بالمعاصي، فالله ﷻ يغيبه هنا بإرغامه وإذلاله وتحقيره بغفرانه لعباده ﷻ، فما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبداً من النار من يوم عرفة.

فعلى العبد أن يقبل على الله - جلّ وعلا - معشر الأحبة، وأن يُخلص لربه - تبارك وتعالى - ، وأن يتوب إليه إن كان قد قارف كبيرة، وأن يطلبه العفو والمسامحة، وأن يعود إليه صادقاً حتى يحظى بالغفران الكامل، نسأل الله ﷻ لنا ولكم من فضله، هذا اليوم هذه مكائته.

- هذا اليوم أيضاً من فضائله: أن الله أكمل فيه الدين، فقد أنزل على رسوله ﷺ قوله - جلّ وعلا - : ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

جاء في الصحيحين ^(١) من حديث عمر رضي الله عنه أن رجلاً جاء إليه من اليهود فقال: آية تقرأونها يا أمير المؤمنين لو نزلت علينا معشر يهود لاتخذنا ذلك اليوم الذي أنزلت فيه عيداً، قال: وما هي؟ قال: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، فقال له عمر رضي الله عنه: أما إننا نعلم أين نزلت، أو قال: متى نزلت، نزلت على رسول الله ﷺ وهو واقف بعرفة يوم الجمعة، يعني اجتمع في هذا اليوم كونه اليوم المشهود، وكونه اليوم إيش؟ الشاهد، ما مر معنا من حديث ابن عباس؟ ﴿وَالسَّمَاءُ ذَاتِ الْبُرُوجِ ۝ وَالْيَوْمَ الْمَوْعُودِ ۝﴾ [البروج: ١- ٢] اليوم الموعود ما هو؟ يوم القيامة، ﴿وَشَاهِدْ﴾ يوم الجمعة، ﴿وَمَشْهُودٌ﴾ [البروج: ٣] يوم عرفة لشهود الخلائق أهل الإيمان فيه من كتب الله لهم الحج، وجاءوا من كل فج عميق، شهدوا هذا

(١) في البخاري برقم (٤٥)، وفي مسلم برقم (٣٠١٧).

اليوم، فهو مشهود، فاجتمع في هذا اليوم يوم نزول هذه الآية؛ أن كان يوم الشاهد، والمشهود، فهو يوم الجمعة عيد الأسبوع، وهو يوم عرفة عيدنا أهل الإسلام.

وقد صحَّ عن النبي ﷺ أنه قال: «يَوْمُ عَرَفَةَ، وَيَوْمُ النَّحْرِ، وَأَيَّامُ التَّشْرِيقِ، عِيدُنَا أَهْلَ الْإِسْلَامِ»^(١)، فهذا اليوم عيدٌ لأهل الموقف يُشْرَعُ لهم فيه الفطر، ويُشْرَعُ لهم فيه التقوي على طاعة الله -تبارك وتعالى-، قال: «يَوْمُ عَرَفَةَ، وَيَوْمُ النَّحْرِ، وَأَيَّامُ التَّشْرِيقِ، عِيدُنَا أَهْلَ الْإِسْلَامِ» كما خرَّج ذلك الإمام أحمد^(٢) -رحمه الله تعالى-.

فالشاهد: يقول عمر رضي الله عنه: أما إنك أنت تقول لو نزلت عليكم لاتخذتموه عيداً، اليوم الذي نزلت فيه، نحن نزلت في يومين عيد، يوم الجمعة عيد الأسبوع، ويوم عرفة هو عيدنا أهل الإسلام، فاجتمع عندنا عيدان ولا لاء؟ اجتمع عيدان، عيد الأسبوع يوم الجمعة، لأن وقفته -عليه الصلاة والسلام- وافقت يوم الجمعة -صلوات الله وسلامه عليه-.

فهذا اليوم يوم عظيم أتم الله ﷻ علينا فيه النعمة، وأكمل لنا الدين: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

هذا الدين الذي لا يرضى الله ﷻ من أحد سواه، كما قال -جلَّ وعلا-: ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر: ٧] ﷻ، ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

فهذا الدين وهذا الإسلام كمله الله في هذا اليوم: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] يقوله ﷻ.

(١) أخرجه أبو داود في «سننه» برقم (٢٤١٩)، والترمذي في «جامعه» برقم (٧٧٣)، والنسائي في «سننه» برقم (٣٠٠٤)، وصححه الألباني في «الإرواء» تحت حديث رقم (٩٦٣).

(٢) في «مسنده» برقم (١٧٣٧٩)، وهو في السنن كما في الحاشية السابقة.

ولم يعيش بعده النبي ﷺ إلا قرابة ثلاثة شهور، أقل من ذلك، فهذا اليوم يوم عظيم أكمل الله فيه الدين، وأتم علينا فيه النعمة، فينبغي أن نعرف فضله، ثم إنه يوم عيد كما أخبر النبي ﷺ فأهل الموقف لا يصومون يوم العيد؛ لأنه ألحقه بما؟ بعيد النحر، وبأيام التشريق، حيث قال: «يَوْمُ عَرَفَةَ، وَيَوْمُ النَّحْرِ، وَأَيَّامُ التَّشْرِيقِ، عِيدُنَا أَهْلَ الْإِسْلَامِ».

فأما أيام التشريق فسُنَّاتٌ عليها أنه لا يجوز صومها، وهكذا يوم النحر ويوم الفطر يحرم صومهما، وأما يوم عرفة فإن النبي ﷺ لم يصمه، وشبَّهه بأيام العيد، بل عدَّه عيدًا -صلوات الله وسلامه عليه- لأهل الموقف، فينبغي لمن حج ألا يصومه، ومن لم يحج يشترع له أن يصومه ليحصل على أجر التكفير الذي ذكرنا للسيئات؛ سيئات سنتين ماضية وقادمة، سابقة ولاحقة، نسأل الله ﷻ لنا ولكم من فضله.

هذا اليوم ينزل الله -جلَّ وعلا- فيه، يدنو من عباده في عشية عرفة، ودنو الرب -تبارك وتعالى- عشية هذا اليوم مما يجعل الناس يتحفزون للدعاء، والتضرع، والاطِّراح بين يدي الله -جلَّ وعلا-، فهو القريب ﷻ من عباده مع عُلوِّه -جلَّ وعلا- عنهم، ومباينته لهم، وعدم اختلاطه بهم ﷻ.

فالواجب علينا -معشر الإخوة-: أن نغتني هذا اليوم، وخصوصًا ما بعد الزوال والعشي خاصة وهو من وقت صلاة العصر إلى غروب الشمس من وقت صلاة العصر إلى غروب الشمس، كما قال -جلَّ وعلا-: ﴿فَسُبِّحْنَ اللَّهَ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ ١٧ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ [الروم: ١٧-١٨].

فالظهر سمَّاه، والصباح إشارة إلى الفجر، والمساء إشارة إلى المغرب والعشاء كما قال ابن عباس، والعشي وقت العصر، وذلك حينما تعنت بعضهم على ابن عباس وقالوا: يا ابن عباس هل يوجد ذكر الصلوات الخمس ومواقيتها في القرآن؟ قال: نعم، ثم ذكر هذه الآية -رضي الله

تبارك وتعالى عنهما - (١)، وهو الفقيه الذي فقّه ربه - تبارك وتعالى - بفضل دعاء النبي ﷺ له في قوله: «اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ وَعَلِّمَهُ التَّأْوِيلَ» (٢).

فقوله: ﴿وَعَشِيًّا﴾ هذا إشارة إلى صلاة العصر لأنها في وقت العشي، فمن وقت العصر دخول العصر إلى غروب الشمس هذا وقت دنو الربّ - تبارك وتعالى -، وقربه من أهل الموقف، ويباهي بهم الملائكة.

فينبغي لنا - معشر الأحبة - أن نعتني بالنهار كله، ومن بعد الزوال بالخصوص، وأخص ما يكون من بعد العصر إلى غروب الشمس، فإنّ هذا أفضل ما في هذا اليوم من الأوقات، فينبغي ألا نُضيع هذه الساعات القليلات، من العصر إلى المغرب قريب من ثلاث ساعات، يرتاح فيها إنسان في بيت من بيوت الله، أو في بيته تحت المبرّدات والمُكيّفات، وهذا الهواء البارد الطيّب، وهو صائم قريب من ربه، قد أغاظ الشيطان، ثم يطرح بين يديه ويدعو ربه - تبارك وتعالى - بما أحب من خيري الدنيا والآخرة، فلعل الله ﷻ أن يتفضّل عليه.

وهذا اليوم - معشر الإخوة - يوم عظيم، لا ييأس فيه أحد من رحمة الله - تبارك وتعالى - لما سمعناه من هذه الأحاديث من تفضّل الربّ - تبارك وتعالى - على عباده، وعتقه إياهم من النار، يقول عبد الله بن المبارك - رضي الله تبارك وتعالى عنه - قال: جئت إلى سفيان الثوري فوجدته بعرفة جاثٍ على ركبتيه، وعيناه تذرفان، فقلتُ له - رحمهم الله جميعاً -، قال: فقلتُ له: مَنْ أسوأ الخلق في هذا الموقف؟ أسوأ الناس في هذا الموقف! قال: (مَنْ ظَنَّ أَنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرَ لَهُ) (٣).

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٨٤ / ٢٠).

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم (١٤٣) العبارة الأولى فقط، وأخرجه أحمد كاملاً في «مسنده» برقم (٢٨٧٩).

(٣) ذكره ابن رجب في «لطائف المعارف - ت السّوّاس» (ص ٤٩٨).

فرحمته سبحانه وسعت كل شيء، ورحمته قريبٌ من المحسنين، وهو يدنو من عباده عشية هذا العظيم، وإذا أقبلوا عليه ودعوه صادقين لا يعجزه ﷻ ولا يضيره أن يغفر لهم.

والواجب علينا جميعاً: أن نحسن الظن بالله -جلّ وعلا-:

كُلُّ الذُّنُوبِ فَإِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُهَا مَا شِيعَ المرءَ إِخْلَاصٌ وَإِيمَانٌ

والعبارات التي تردُّ عن السلف أو عن بعض السلف في مخافتهم من الله في هذا اليوم إنما هو أو إنما هي على باب هضم النفس والتواضع، كل واحد يظن بنفسه سوءاً، لا أنه يائس من رحمة الله، وإنما من تواضعهم ﷺ، كما جاء ذلك عن مُطَرِّف بن عبد الله بن الشَّخِير وبكر المزني وغيرهم ممن ذُكر عنهم في هذا الباب أشياء عجيبة، قال: (ما أحسن هذا الجمع وما أفضل أهله، وما أفضل ما يرجى لأهله إلا أني فيهم) ^(١) فهذا يقولونه على سبيل التواضع لا على سبيل الإيأس من رحمة الله -تبارك وتعالى-، ولا على سبيل القنوط من رحمة الله -تبارك وتعالى-، وإلا كما قال سفيان: (أسوأ الناس في هذا الموقف مَنْ ظَنَّ أَنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ لَهُ)، نسأل الله العافية والسلامة.

فالواجب علينا جميعاً: أن نحسن الظن بالله، ورحمة الله وسعت كل شيء، ورحمته ﷻ قريب من المحسنين، فنسأل الله -جلّ وعلا- أن يجعلنا وإياكم من هؤلاء.

ثم بعد ذلك يأتي عيد النحر الذي هو الشَّفع في هذه الأيام العشر، كما جاء ذلك من حديث ابن عباس -رضي الله تبارك وتعالى عنهما- الذي صحَّ عنه في تفسير قوله -جلّ وعز-: ﴿وَالْفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۚ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ۚ﴾ [الفجر: ١-٣]، قال: (الليالي العشر هي أيام ذي الحجة، والشفع هو يوم النحر، والوتر هو يوم عرفة) يوم التاسع يوم عرفة، فهذا هو الشفع، وهذا هو الوتر، يأتي يوم النحر الذي هو يوم العَجِّ والثَّجِّ، والذي فيه أكثر أعمال الحج؛ فيه النزول إلى منى، وفيه

(١) ذكره ابن رجب في «لطائف المعارف - ت السَّوَّاس» (ص ٤٩٦).

رمي الجمرة - جمره العقبة -، وفيه نحر الأضاحي والهدايا، وفيه أيضًا الطواف بالبيت العتيق بعد الحلق والتقصير، هذه الأعمال كلها في هذا اليوم العظيم الذي هو أكثر أيام الحج أعمالاً ومناسك.

فأول ما يُشرع فيه رمي الجمرة، ثم بعد رمي جمره العقبة نحر الهدى والأضاحي، ثم بعد ذلك الحلق أو التقصير، والحلق أفضل، ثم بعد ذلك الاغتسال والتطيب ولُبس أطيب الثياب، والخروج من الإحرام، ثم الذهاب للإفاضة إلى البيت العتيق، فيأتي بطواف الزيارة؛ طواف الصّدر، طواف الإفاضة الذي هو ركن لا يصح الحج إلا به في أصح قولي العلماء، لا يصح الحج إلا به، فهذا اليوم يوم النحر هو يوم الشفع لأنه يوم العاشر.

ثم تدخل بعده أيام التشريق، فأيام التشريق غير يوم النحر، يوم النحر يوم مستقل، فلا يُعدُّ مع أيام التشريق، وأيام التشريق يومان بعد يوم النحر أو ثلاثة، يومان يجب البقاء فيهما بمنى ليلاً، واليوم الثالث إن نفرت فلا شيء عليه، وإن بقيت وجب عليك المبيت إذا أدركتك الشمس غابت الشمس وأنت في منى لم تخرج، فإنه يجب عليك المبيت.

هذه الأيام - أيام التشريق - يقول فيها النبي ﷺ أولاً الذي سمعتموه: «يَوْمُ عَرَفَةَ، وَيَوْمُ النَّحْرِ، وَأَيَّامُ التَّشْرِيقِ، عِيدُنَا أَهْلَ الْإِسْلَامِ».

ويقول عليه الصلاة والسلام: «أَيَّامُ التَّشْرِيقِ أَيَّامُ أَكْلٍ وَشُرْبٍ وَذِكْرِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى»^(١)، فيحرم صومها، يحرم صيام أيام التشريق: الحادي عشر، والثاني عشر، والثالث عشر، بعد العيد؛ الحادي عشر، والثاني عشر، والثالث عشر يحرم صومها إلا للحاج الذي لم يجد هدياً عليه هدي ولم يجد قيمة الهدى ولا يستطيع أن يصوم قبل ذلك لأنَّ المدة لا تتسع له، يعني أنه جاء يوم ثمانية مثلاً، ما يستطيع يصوم، ويوم عرفة يشق عليه أن يصوم فيه، فهذا لا يستطيع أن يصوم قبل أيام

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» برقم (١١٤١).

التشريق قبل العيد فإنه يصومها لحديث عائشة - رضي الله تبارك وتعالى عنها - أم المؤمنين قالت: «لَمْ يُرَخَّصْ فِي أَيَّامِ التَّشْرِيقِ أَنْ يُصُمْنَ؛ إِلَّا لِمَنْ لَمْ يَجِدِ الْهَدْيَ»^(١)، مَنْ لَمْ يَجِدِ الْهَدْيَ وَكَانَ الْوَقْتُ ضَيْقَ عَلَيْهِ يَعْنِي مَا جَاءَ قَبْلَ الْحَجِّ خَمْسَةَ أَيَّامٍ، أَرْبَعَةَ أَيَّامٍ، فَيَصُومُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مِنْهَا فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةَ إِذَا رَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ، فَهَذَا الَّذِي لَمْ يَجِدِ الْوَقْتَ لَمْ يَسْتَطِعِ الصِّيَامَ هَذَا يَصُومُ مَتَى؟ يَصُومُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ الَّتِي نَصَّ اللَّهُ - جَلَّ وَعَلَا - عَلَيْهَا بِقَوْلِهِ: ﴿فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتَ﴾ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ﴿[البقرة: ١٩٦]».

فالذي لَمْ يَجِدْ وَقْتًا قَبْلَ فَيَصُومُ فَإِنَّهُ يُجُوزُ لَهُ أَنْ يَصُومَهَا إِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُهْدِيَ بِالْمَالِ، فَإِنَّهُ يَصُومُ بَدَلَ الْهَدْيِ يَصُومُ هَذِهِ الثَّلَاثَةَ الْأَيَّامَ: الْحَادِي عَشَرَ، وَالثَّانِي عَشَرَ، وَالثَّلَاثَ عَشَرَ؛ لِأَنَّهَا هِيَ الَّتِي بَقِيَتْ لَهُ فِي أَيَّامِ الْحَجِّ، فَيَجُوزُ لَهُ أَنْ يَصُومَهَا، رَخَّصَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ، أَمَا مَنْ لَيْسَ كَذَلِكَ فَإِنَّهُ يَحْرَمُ عَلَيْهِ أَنْ يَصُومَ أَيَّامَ التَّشْرِيقِ.

وهكذا نحن هنا مَنْ لَمْ يَحِجْ مِنْهُ فَإِنَّهُ يَحْرَمُ عَلَيْنَا أَنْ نَصُومَ هَذِهِ الْأَيَّامَ؛ لِأَنَّهَا أَيَّامُ أَكْلٍ وَشَرْبٍ وَذَكَرَ اللَّهُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى -، وَهِيَ الْأَيَّامُ الْمَعْدُودَاتُ كَمَا قَالَ - جَلَّ وَعَلَا -: ﴿وَأَذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ [البقرة: ٢٠٣].

فهذه هي الأيام المعدودات: ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ بَعْدَ الْعِيدِ قَالَ اللَّهُ فِيهَا: ﴿وَأَذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ﴾، فَهَذِهِ هِيَ الْأَيَّامُ الْمَعْدُودَاتُ، فَلَا يُجُوزُ لِأَحَدٍ أَنْ يَصُومَهَا إِلَّا مَنْ رَخَّصَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

وَيَنْبَغِي أَنْ نَذَكَرَ اللَّهَ ﷻ فِيهَا ذِكْرًا كَثِيرًا، وَأَنْ نُسَبِّحَهُ بِكُرَّةٍ وَأَصِيلًا.

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم (١٩٩٨).

وليُعلم أنَّ التكبير على قسمين: قسم مطلق، وقسم مُقيّد.

فأما المطلق: فهو من دخول العشر كما جاء ذلك في حديث أبي هريرة وابن عمر -رضي الله تبارك وتعالى عنهما- أنهما إذا دخلت العشر كانا يخرجان إلى السوق فيكبرون، ويكبر الناس بتكبيرهم^(١)، يعني يُذكّرون الناس، فإذا كبر أبو هريرة كبر الناس، وليس المقصود أن الصوت الكلمة مع الكلمة تتحد كما نسمع الآن في التكبير المُسجّل، هذا خطأ، ولكن هذا يُكبر من عنده، وهذا يُكبر من عنده، وهذا من عنده، وهذا من عنده، هذا في أول التكبير، وهذا في وسطه، وهذا في آخره، فتحدث رجّة كما جاء في الصحيح من حديث عمر أنه كان يكبر بمنى، ويكبر الناس بتكبيره^(٢)، يعني يذكرهم بهذا، يكبر هو فيسمعونه فيتذكرون، فيكبرون، هذا في أول التكبير، وهذا في وسطه، وهذا في آخره، وليس المراد المواطأة والموافقة الحرف مع الحرف، والكلمة مع الكلمة بصوت واحدٍ بدءاً وانتهاءً، لا، هذا مُحَدَث، ما كان معروفاً عن أصحاب النبي ﷺ.

فالشاهد: هذه الأيام أيام أكل وشرب، وذكر الله تبارك وتعالى، فالذكر منه التهليل، والتكبير، الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله، الله أكبر الله أكبر والله الحمد، وإن قال ثلاثاً -كما اختار الإمام الشافعي رحمه الله- فلا بأس بذلك، الله أكبر الله أكبر الله أكبر ثلاثاً، لا إله إلا الله، الله أكبر الله أكبر والله الحمد، لا بأس بذلك، هذا اختيار الشافعي، والأول اختيار أحمد رحمهم الله تعالى جميعاً.

فالشاهد: هذا هو التكبير المطلق، يبدأ متى؟ بأول يوم من أيام العشر يوم واحد ذي الحجة، ويستمر حتى تدخل عليه أيام التشريق، فإذا أصبح العيد جاء بعد ذلك التكبير المُقيّد.

(١) ذكره البخاري في «صحيحه» مُعلّقاً في كتاب العيدين، باب فضل العمل في أيام التشريق (٢/ ٢٠)، وانظر: «تغليق التعليق» لابن حجر (٢/ ٣٧٧).

(٢) ذكره البخاري في «صحيحه» مُعلّقاً في كتاب العيدين، باب التكبير أيام منى، وإذا غدا إلى عرفة (٢/ ٢٠)، وانظر: «تغليق التعليق» (٢/ ٣٧٩).

والتكبير المقيّد: هو الذي يكون عقب الصلوات يوم العيد والتشريق، وليس يصح فيما أعلم عن رسول الله ﷺ في هذا شيء من كلام النبي ﷺ، والذي يصح في هذا فيما أعلم إنما هو عن علي رضي الله عنه وعن ابن مسعود رضي الله تبارك وتعالى عنه، وكفى بهما، فعبد الله بن مسعود من أكابر فقهاء الصحابة رضي الله عنه، وعلي رضي الله عنه خليفة راشد صاحب سنة مأمور باتباعها رضي الله تبارك وتعالى عنه، فإن النبي ﷺ يقول: «عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمُهْدِيِّينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ» (١) فالشاهد: أن التكبير المقيّد لا أعلم فيه حديثاً عن النبي ﷺ.

وسمي مقيّداً لأنه مقيّد بماذا؟ بأدبار الصلوات الفرائض؛ بعد الفجر، بعد الظهر، بعد العصر، بعد المغرب، بعد العشاء، طيلة أيام التشريق إلى اليوم الثالث عشر، فينتهي بصلاة العصر، يوم الحادي عشر جميع الفروض، الثاني عشر جميع الفروض، الثالث عشر الفجر، ثم الظهر، ثم العصر فقط، بعد المغرب انتهى أيام التشريق، فهذه هي الأوقات التي يذكر الله ﷻ فيها ويكبر التكبير المقيّد عقب الصلوات كما قلت لكم، ولا أعلم في هذا حديثاً عن رسول الله ﷺ يصح، وإنما يصح عمّن؟ عن علي رضي الله عنه، وعن ابن مسعود رضي الله عنه، هذا على حسب علمي، والعلم عند الله - تبارك وتعالى -.

والحاصل: أن هذه الأيام أيام أكل وشرب وذكر لله، فينبغي ألا يغفل الناس بسبب الفرح بالعيد عن ذكر الله - جلّ وعلا - في هذه الأيام المباركة.

(١) أخرجه أبو داود في «سننه» برقم (٤٦٠٧)، والترمذي في «جامعه» برقم (٢٦٧٦)، وابن ماجه في «سننه» برقم (٤٣)، وأحمد في «مسنده» برقم

(١٧١٤٢)، وصححه الألباني في «الإرواء» برقم (٢٤٥٥).

وليعلم أنها كلها وقت ذبح، فكما أنَّ الحجيج ينحرون هداياهم في هذه الأيام جميعاً أيضاً من لم يحجوا يذبحون ضحاياهم، فهذه الأيام كلها وقت للذبح؛ ثلاثة أيام بعد العيد إلى غروب شمس يوم الثالث عشر، هذه كلها أيام يصلح الذبح فيها.

فينبغي لنا -معشر الإخوة-: أن نتقرب إلى الله -تبارك وتعالى- فيها بذكره، وشكره، وحسن عبادته وطاعته، وأعظم ما نتقرب إليه به بعد دعائه في هذه الأيام نتقرب إليه بالنحر؛ لأنَّ الله -جلَّ وعلا- يقول: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحِرْ﴾ [الكوثر: ٢]، فالنحر ما تُقرب إلى الله جلَّ وعلا بشيء أحب إليه منه، ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [١٦٢] لَا شَرِيكَ لَهُ ﴿[الأنعام: ١٦٢-١٦٣].

أسأل الله ﷻ أن يعيننا وإياكم على أنفسنا، وأن يعيننا وإياكم على طاعته -تبارك وتعالى-، وأن يُوفِّقنا وإياكم لاغتنام الأوقات في الأعمال الصالحات، وأن يُوفِّقنا وإياكم جميعاً لكل خير. كما أسأله ﷻ أن يُوفِّق الحجاج في حَجِّهم، وأن يُسهِّل أمرهم، وأن ييسر عليهم، وأن يُسمِّح أمورهم، وأن يهون عليهم المشاق، وأن يجعل حجهم مبروراً، وسعيهم مشكوراً.

كما أسأله ﷻ أن يعمهم بالأمن والأمان والإيمان، ونسأل الله -جلَّ وعلا- في علاه أن يعيننا وإياكم جميعاً أن يُوفِّق هذه الدولة الموفِّقة التي تقوم بأمر الحجيج، وتسهر على راحتهم، وتتعب ليرتاحوا، وتشقى ليسعدوا، نسأل الله ﷻ أن يُوفِّقها، وأن يُوفِّق رجال أمنها، والقائمين على شؤون الحجيج فيها، وأن يجزل لهم الأجر والثواب.

كما نسأله ﷻ أن يُوفِّق جنودنا المرابطين على حدودنا، وأن يربط على قلوبهم في الحد الجنوبي، وأن يُثبِّت أقدامهم، وأن يُسدِّد رميهم وسهامهم، وأن يجمع قلوبهم على الحق والهدى، وأن يُثبِّتهم على ذلك.

كما أسأله ﷺ أن يُقَرَّ أعيننا وأعينكم جميعاً بنصرهم، وأن يُعَجِّلَ بذلك، وأن يقطع دابر عدونا وعدوهم، وأن يُظهِرَ هذا الدين، وأن يُعلِّمَ على كل من خالفه، إنه جوادٌ كريم.

وصلَّى الله وسلَّم وبارك على ورسوله نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان،
والحمد لله رب العالمين.

[الأسئلة]:

١ - هذا يسأل عن: ما هو أفضل وقت لذبح الأضحية؟

هو الوقت الذي ضحَّى فيه النبي ﷺ، والنبي ﷺ حينما عاد من الصلاة ذبح أضحيته بيده
ﷺ، إذ ضحَّى بكبشين أبيضين أملحين أقرنين، وضع رجله على صفاحهما وذبحهما قائلاً:
«بسم الله والله أكبر، اللهم إنَّ هذا عن محمد وآله»^(١) والثاني عمَّن لم يضحي من أمته ﷺ، فقد
كفاه، من لم يضحي كفاه رسول الله ﷺ، فأفضل وقت للذبح هو هذا، والأيام الباقية كلها يجوز
الذبح فيها - والله الحمد-، فالذبح في النهار أفضل من الليل.

٢ - هذا يقول: بعضهم يحج ثم يكون في أيام التشريق في جُدة في النهار والليل في منى؟

خطأ، هذا خطأ وخلاف السنة، الواجب عليه ألا يخرج حتى يتم مناسكه.

٣ - وهذا يسأل عن حديث: «من حجَّ فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته

أمه»، هل الحج هذا يُكفِّر الصغائر؟

نعم يُكفِّر الصغائر، أما الكبائر فلا، لا بد لها من توبة خاصة بها، لأنَّ النبي ﷺ يقول:
«مُكَفَّرَاتُ مَا بَيْنَهُنَّ مَا اجْتَنِبَتِ الْكَبَائِرُ».

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم (٥٥٦٥)، ومسلم في «صحيحه» برقم (١٩٦٦)، وقوله ﷺ: «هَذَا عَنْ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ» فقد جاءت عند أحمد

في «مسنده» برقم (٢٧١٩٠)، وانظر «الإرواء» للألباني حديث رقم (١١٣٨).

ويقول عليه الصلاة والسلام: «تَابِعُوا بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ، فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَالذُّنُوبَ، كَمَا يَنْفِي الْكَبِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ وَالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ»^(١).

والمراد به الصغائر، أما الكبائر فلا بد لها من توبة للآية التي سمعتموها، وبهذا تجتمع النصوص، وتلتئم الأدلة ويؤلف بينها، وحينئذ يزول التعارض، نعم.

٤- هذا يسأل: مَنْ استدان ديناً من أجل شراء الأضحية؟

لا بأس، إذا كان عنده وفاء ويمجد وفاء الحمد لله لا بأس، والناس اليوم يستدينون في أقل من هذا، يستدينون في الأثاث للعيد، ويستدينون غسَّالات، ويستدينون ثلاجات، ويستدينون مراوح، ويستدينون سيارات، ويستدينون ما لا حاجة لهم ماسة به أو إليه، نعم لهم حاجة لكن ليست ضرورة تجده في أقل القليل، وإذا كان عنده سداد والله الحمد أو على التقسيط لا بأس بذلك، وخصوصاً في هذا الشهر، لأنَّ الراتب سيأتي بعد العيد، وكثير من الناس قد استنفق راتب شوال الذي جاءه في ذي القعدة في قضاء حوائج رمضان، والعيد شوال، وجاء شوال في ذي القعدة فذهب من زمن بعيد، فلا بأس أن يأخذ على راتبه لا بأس بذلك إن شاء الله.

٥- هذا يسأل: هل يستحب الاعتكاف في يوم عرفة؟

لا أعرف ليوم عرفة اعتكافاً، لكن هذا من الأعمال الصالحة، لو اعتكف من الأعمال الصالحة حتى يحفظ نفسه، ويحفظ وقته لا بأس.

٦- هذا يسأل أيضاً عن الفخر بهذا النسب؟

نعم إذا اجتمع إلى النسب الشريف الصلاح فهذا هو الفخر، اجتمع الفخران: فخر الصلاح والدين، وفخر النسب، ولا شك أنَّ آل بيت رسول الله ﷺ لهم منزلة عندنا، ولهم

(١) أخرجه الترمذي في «جامعه» برقم (٨١٠)، والنسائي في «سننه» برقم (٢٦٣١)، وابن ماجه في «سننه» برقم (٢٨٨٧)، وصححه الألباني في «الصحيحة» برقم (١٢٠٠).

مكانة عندنا، وصَّانا الله ﷻ بهم، ووصَّانا بهم رسوله ﷺ، فنحبهم للدين، ونحبهم لقربهم من رسول الله ﷺ، هذا دين نتدين به، وهو في اعتقاد أهل السنة - والله الحمد -، أسأل الله أن يوفِّقنا وإياكم، أما إذا خلا عن الدين فما نفع النسب أبو هلب، ما نفع النسب أبا هلب أبداً، يقول النبي ﷺ مُبْطِلًا هذه النظرة: «يَا عَبَّاسُ عَمَّ رَسُولِ اللَّهِ اَعْمَلْ، فَإِنِّي لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ اَعْمَلِي، فَإِنِّي لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، وَيَا فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ اَعْمَلِي، فَإِنِّي لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا»^(١).

يقول: «لا يأتي الناس يوم القيامة بأعمال وتأتون بأحسابكم، لا أغني عنكم من الله شيئاً»^(٢)، نعم، فالعز والكرم إنما هو بالتقوى وبدين الله - تبارك وتعالى -، وقد قرر هذا رسول الله ﷺ في خطبته يوم عرفة أنه لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى، نعم، الناس لآدم وآدم من تراب.

الناس من جهة التمثيل أكفاء أبوهم آدم والأُم حواء وهكذا:

ألا إنما التقوى هي العزَّ والكرم وليس على امرئ تقي نقيصة
وَحَبَّكَ لِلدُّنْيَا هُوَ الذُّلُّ وَالنَّدَمُ إِذَا حَقَّقَ التَّقْوَى وَإِنْ حَاكَ أَوْ حَجَمَ

هذا بلال رضي الله عنه عبد أعتقه مَنْ؟ أبو بكر رضي الله تبارك وتعالى عنه، يقول فيه عمر رضي الله عنه: (أبو بكر سيدنا، وأعتق سيدنا يعني بلالاً رضي الله عنه)^(٣).

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» برقم (٢٠٥).

(٢) انظر: «السنة» (لابن أبي عاصم - ط الصمعي) حديث رقم (١٠٤٦)، «الصحيح» حديث رقم (٧٦٥).

(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم (٣٧٥٤).

النبي ﷺ يقول: «دَخَلْتُ الْبَارِحَةَ الْجَنَّةَ فَسَمِعْتُ دَفَّ نَعْلَيْكَ بَيْنَ يَدَيَّ فِيهَا، فَبِمَا سَبَقَتْ بِذَلِكَ يَا بِلَال؟» فقال: (لا شيء غير أني ما توضأت وضوءًا إلا صليت به ما شاء الله لي أن أصلي) (١).

فالعبرة بالتقوى، ولكن إذا اجتمع مع التقوى شرف النسب فنعم، ونسأل الله ﷻ ألا يجعلنا وإياكم ممن يتكلمون على أحسابهم وأنسابهم ويدعون الأعمال التي تنفعهم عند ربهم تبارك وتعالى.

٧- هذا يسأل عن الحلاق في هذه الأيام؟

أما من أراد أن يُضحِّي رب الأسرة فلا، وأما أولاده لا بأس: الأبناء، البنات، الزوجة، لا بأس أن يأخذوا، لكن هو فقط الممنوع، وهكذا من ضحَّى عن نفسه لو أنَّ عجوزًا بمفردها تُضحِّي عن نفسها لا يجوز لها أن تُقلِّم من أظفارها، ولا تأخذ من بشرها، ولا من شعرها حتى تُضحِّي، وأما رب الأسرة فهو فقط، والأسرة لا شيء عليهم.

٨- هذا يقول: أخوه اشترى أضحية عنه وعن أمه وإخوته مع أنه مستقل بعائلته في مدينة

وأمه وإخوته في مدينة أخرى، فهل يصح ذلك؟

لا، هم لهم أضحية، وأنت لك أضحية.

٩- هذا السؤال ما عرفت أقرأه، لعل صاحبه يكتبه في الكذب والمزاح والشتم، أو كذا،

أنا ما فهمت، على صاحبه يعيد كتابته.

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم (١١٤٩)، ومسلم في «صحيحه» برقم (٢٤٥٨).

١٠- هذا يقول: يذهب بعض الناس لذبح أضحيته في المسالخ، وبعض الجزارين

مسيحيين يعني نصارى أو بوذي؟

ما يصح، تصح ذبيحة هذا، ما يذبح لك نصراني هذا، إذا كان يُكَبِّرُ الله -جَلَّ وعلا- ويذكر الله -جَلَّ وعلا- لا تحل ذبيحته من أهل الكتاب، لكن الكلام على البوذي، أما النصراني والكتابي أمره آخر، وأنت لماذا ما الذي أحوجك إليه والله الحمد وفي البلاد أهل إسلام؟ لكنني إن اضطررت إليه ما تستطيع مريض ونحو ذلك فذبائح أهل الكتاب حل والله الحمد، أما البوذي هو المصيبة المشكلة، البوذي أو الهندوسي كما ذكر هذا هو المصيبة والمشكلة، فلا يذبح لك، المشرك ذبيحته لا تحل، أما أهل الكتاب فإله ﷻ قد أباح لنا ذبائحهم، وأباح لنا أكل طعامهم، ونسأل الله ﷻ التوفيق للجميع، كما نسأله سبحانه أن يرزقنا وإياكم الفقه في دينه، والبصيرة فيه، وصلى الله وسلم على نبينا محمد. (١)

١١- هذا يسأل: خير الدعاء دعاء يوم عرفة هل هو خاص بالحاج؟

قلنا ليس خاصًا بالحاج، هذا الدعاء عام في يوم عرفة سواء كنت بعرفة أو كنت في يوم عرفة ولست من أهل عرفات، فلا بأس، يعني أن يسأل عن مثل هذا، لا بأس، لأنه قد يشتهبه على بعض الناس ويظن أن هذا خاص بأهل الموقف، لا بل هو عام، فإنَّ النبي ﷺ أضافه إلى الزمان لا إلى المكان، أضافه إلى اليوم، قال: «خَيْرُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَخَيْرُ مَا قُلْتُ: أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»، فهذا في يوم عرفة، ويوم عرفة يشمل من كان حاضراً في عرفات حاجاً ومن لم يكن حاضراً عرفات المشهد بل كان في بلده أيًا كانت بلاده، والله أعلم.

(١) هنا سأل الشيخ عن وقت الأذان، فتبين أن هناك دقائق، فأكمل الأسئلة.

١٢ - مداخلة: شيخ أحسن الله إليك، الرد على من يقول أن الحلق سنة...، بعضهم يقول

إن الحلق هذا سنة؟

الشيخ: الحمد لله، هذا الكلام انتشر في هذين اليومين، وقد سمعتُ والله الحمد كلام أهل الجهل، وسمعتُ كلام أهل العلم، وأظنكم والله الحمد مثلي سمعتم، قد ردّ على هؤلاء العلماء أمثال الشيخ صالح الفوزان - حفظه الله -، وأمثال الشيخ عبد المحسن العباد - حفظه الله -، وغيرهم، وغيرهم من أهل العلم، وهؤلاء في الحقيقة يرد عليهم الحديث، فإن النبي ﷺ قال: «فَلَا يَأْخُذُ مِنْ أَظْفَارِهِ وَلَا مِنْ بَشَرِهِ شَيْءٌ حَتَّى يُضَحِّيَ»، هذا نهي من النبي ﷺ، وإذا صح الحديث عن رسول الله ﷺ فلا قول لأحد معه، نسأل الله التوفيق للجميع، نعم.

١٣ - سائل آخر: شيخنا الله يحفظك لو مثلاً واحد قال: ما راح أنوي إلا إذا مثلاً باقي

خمسة أيام، ما أشتري الأضحية حتى يُمكنني قبل خمسة أيام، أحلق مثلاً، أخفف... هل يسوغ هذا؟

الشيخ: النبي ﷺ يقول: «وَأَرَادَ»، فإذا كان هو معقود في قلبه أنه يريد ما ينفعه، لا أبداً، مثال ذلك يعني أنا قاطع ومريد أنني أضحي، لكن الراتب تأخر في الصرافة ينزل يوم السبت باقي من العيد إلا ثلاث أيام تمام، النية موجودة ولا لا؟ «وَأَرَادَ»، نعم،... (١) اه (٢).

اعْتِنَاءُ

أَبِي قُصَيِّ الْمَدَنِيِّ

- عَفَا اللَّهُ عَنْهُ وَعَنْ وَالِدَيْهِ وَمَشَائِخِهِ وَالْمُسْلِمِينَ أَجْمَعِينَ -

فِي السَّابِعِ مِنْ شَهْرِ ذِي الْحِجَّةِ عَامِ اثْنَيْنِ وَأَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِمِئَةٍ وَأَلْفٍ مِنَ الْهِجْرَةِ

(١) يوجد سؤال غير واضح في التسجيل، لعل السائل كان بعيداً، والله أعلم.

(٢) انتهت المحاضرة، فإن كان من صواب فمن الله وحده، وما كان من خطأ، أو سهو، أو غفلة، أو نسيان؛ فمني ومن الشيطان، وأستغفر الله العظيم.